القلب ودلالته عند الصوفية

أ.د. ايمان كمال مصطفى المهداوي

الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

ان بحثي هذا يتحدث عن القلب ودلالته عند الصوفية الحقة الذين ساروا على خطا الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام.

فتبين من خلال البحث والتقصي في كتب التصوف والصوفية ان للقلب نوعين المادي الظاهر والمعنوي الباطن وان هناك فرقا بينهما وكدلك بينا ان القلب والفؤاد لفظان يختلفان في دلالة بعضهما عن بعض

وفضلاً عن هذا فأن القرآن الكريم قد اعطى للقلب مكانة كبيرة اذ انه يعد صمام الامان للمؤمنين فقد تحدى الشيطان في ان يدخل الى قلوب المؤمنين وسماهم المخلصين بقوله تعالى في اية التحدي ((لاغوينهم الا عبادك منهم المخلصين)) وقد ذكر لفظ القلب في القرآن الكريم بأوجه عديدة في معاني القلب ((١٢٢)) مرة .

ولما للقلب اهمية كبيرة في الحياة فقد جعل النبي الكريم عليه الصلاة والسلام صلاح الجسد وفساده مرهونا به بقوله **{ان في الجسد لمضغة لو صلحت لصلح الجسد كله ولو فسدت فسد الجسد كله، الا وهي القلب}** رواه مسلم ١٥٩٩ .

ولما كان القلب يوصف بالحياة وضدها انقسم على ثلاثة اقسام وهي : {الصحيح، والسليم، والميت}، وجاءت هذه التقسيمات بحسب الاحوال ومن خلالها تبينت دلالة القلب عند ثلة من المجتمع عرفوا بالتقوى والصلاح الا وهم الصوفية الذين سلكوا طريق الحق وانمازوا برفعة الاخلاق مع تمسكهم بطاعة الله ورسوله واخذوا يهذبون انفسهم ويطهرون قلوبهم من براثن الدنيا وما فيها من مغريات.

Abstract

The research that talks about the heart and its significance when the true Sufi who walked on a line beloved Prophet peace be upon him.

So it is clear through research and investigation in the books of Sufi mysticism and the heart of the two apparent physical and moral subcontractors and that there is a difference between them and Kdlk showed that the heart and the heart of Fezan differ in each indication for some

Apart from this, the Holy Quran has given the heart of a great position as it is a safety valve for the believers have Satan challenged to enter the hearts of the faithful and what he called the faithful, saying the Almighty in any challenge ((will surely not slaves of them loyal)) The word heart mentioned in the Koran objects of in many meanings of the heart ((122)) time.

As for the heart of great importance in life has made the Holy Prophet, peace be upon him, Salah body and subject to corruption by saying that {in the flesh to chew pray for peace if the whole body, even corrupt the whole body, namely the heart} Narrated by Muslim, 1599.

Because the heart is described life and against split into three categories, namely: {correct, proper, and the dead}, came these divisions as the case through which proved significant heart when a group of community knew piety and righteousness, but they are Sufis who have gone in the way of truth and Anmazhua eminence of morality with their adherence to obey Allah and His Messenger, and took the Style Will themselves and purify their hearts from the clutches of the minimum and where temptations.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب الارباب مالك القلوب والالباب واصلي واسلم على من بذكره يسر القلب والفؤاد سيد الرسل والانبياء محمد بن عبد الله وترضى اللهم عن آله وصحبه وامهات المؤمنين الطاهرات وعلى من تبعه من الاولياء والصالحين ذوي القلوب السليمة الخالية من الانجاس

اما بعد :

القلب هو مدار الايمان والشرك وقد جاء ذكره في القرآن الكريم بأوجه عديدة في (١٢٢) آية واعطى الله تعالى للقلب مكانة كبيرة اذ هو موطن الايمان واليقين وقد عول الرسول الكريم ﷺ عليه اذ جعل صلاح الجسد بصلاحه وفساده بفساده، وكثرت اراء واقوال الصالحين والاولياء واقوالهم في القلب وما يعنيه وكيفية السعي لصلاحه.

بحثي هذا يتحدث عن القلب ودلالته عند ثلة من المؤمنين الاولياء الصالحين وهم (الصوفية الحقة) الذين ساروا على خطا الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام واقتداء بقوله **{ان في الجسد لمضغة لو صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله}**، ومدار حديث اهل التصوف على معاني القلب ما روي عن رسول الله ﷺ من احاديث موضحة لطبيعة القلب.

وبناء على ذلك وددنا ان يكون البحث في معنى القلب في اللغة والاصطلاح والفرق بينه وبين الفؤاد ومن ثم الحديث عن اقسامه وانواعه وما يصيبه من امراض وسرد اقوال الصوفية فيه وبيان دلالتها، وختمت البحث بذكر اهم ما استخلصته من اراء الصوفية في القلب ومعانيه .

اولا : القلب في اللغة والاصطلاح :

في اللغة :

جاء في لسان العرب هو تحويل الشيء عن وجهه، قلبه يقلبه قلباً، وقلبه حوله ظهرا لبطن، وقلب الامور اي بحثها، والجمع اقلب وقلوب.

وقال الفراء القلب معناه العقل استنادا لما جاء في قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ ق/٣٧ وقال هذا جائز في العربية، ان تقول مالك قلب وما قلبك معك، اي ما عقلك معك وتقول اين ذهب قلبك اي اين ذهب عقلك ؟

وتطلق العرب على جوف الشيء قلبه ويطلقون على العقل ما يفهمون به ويعقلون في كثير من اقوالهم قبل الاسلام لفظ القلب، ولم يخرج القران عما تفهمه العرب، كما يطلقون عليه وعلى العقل لفظ اللب ومنه اللبيب اي الفهيم .

في الاصطلاح :

نأخذ معنى القلب من اتجاهين الاول في المعنى العلمي ((هو المضخة التي تضخ الدم وهو في داخل الصدر)) ، والاخر في المعنى القرآني له عدة اوجه وهي كالاتي:

- القلب بمعنى العقل في قوله تعالى ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.
- القلب بمعنى الروح كما في قوله تعالى ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾.
- القلب بمعنى الرأي كما جاء في قوله تعالى ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾.
- القلب بمعنى المضخة التي ذكرناها في المعنى العلمي كما في قوله تعالى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.

ثانيا : الفرق بين القلب والفؤاد

السؤال: هل القلب يختلف عن الفؤاد ام هما مصطلحان مترادفان ؟

الجواب: جاء في الاثر عن النبي الكريم ﷺ **{اتاكم اهل اليمن، هم ارق قلوباً، والين افئدة}.**

فوصف القلوب بالرقة والافئدة باللين، وكأن القلب اخص من الفؤاد.

وقيل القلوب والافئدة قريبان من السواء وكرر ذكرهما لاختلاف اللفظين تأكيداً

وجاء في لسان العرب ان الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه.

وفرق العلماء بين القلب والفؤاد فقالوا: الفؤاد مقدم القلب وما استرق منه، والقلب اصله وما اتسع منه وقال احد العلماء ((في القلب تجويفان: فالتجويف الظاهر هو

الفؤاد وهو مكان العقل، والباطن وهو القلب في السمع والبصر ومنه يكون الفهم والمشاهدة وهو محل الايمان وقد قال تعالى ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ المجادلة/٢٢، وقوله ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ق/٣٧))

وقال بعضهم سمي القلب لتقلبه وسمي الفؤاد فؤاداً لتحرقه على من يشفق عليه، وما يؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ ﴾ الانعام ١١٠، وقول النبي الكريم ﷺ **{سبحان مقلب القلوب والابصار}.**

ومن خلال ذلك يتبين لنا ان القلب غير الفؤاد وان لكل منهما معنى خاصا ولكن احدهما مرتبط بالأخر لا يمكن انتزاع القلب من الفؤاد او ابتعاد الفؤاد عن القلب، بمعنى اخر لا يمكن فصلهما عن بعض .

ثالثاً: اقسام القلب وانواعه :

ان الله تعالى خلق الاعضاء في الجسد وجعل الملك عليها القلب واعطاه حق التصرف فيها، فان استقام وصلح استقامت وصلحت واذا ازاغ ازاغت هي كذلك، فكان لابد من الاهتمام به وتصحيحه وهو ما يعتمد عليه السالكون طريق الحق، والحفاظ عليه من عدو الله وعدوه (ابليس)، فكل وسايل الشيطان متجهة نحو القلب لأنه كما وصفناه هو مدار الايمان والشرك بإشارة النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ الى صدره الشريف قائلاً ((الايمان هاهنا)) ، اي في القلب .

لذلك يتعرض القلب الى امراض ليست امراضاً مادية وانما معنوية، ويمكن دواؤها من خلال ما يكتسب القلب من مقامات واحوال والابتعاد عن وساوس الشيطان واغوائه والجهاد في ذلك .

ويمكن ان نقسم القلوب على ما يأتي :

- القلب الصحيح : هو القلب السليم قال تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ الشعراء٨٨-٨٩، اي سلم من كل شهوة تخالف امر الله ونهيه
- القلب السقيم: وهو المريض قال تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ البقرة/١٠ وهو قلب له حياة وبه علة وهذه العلل تودي بصاحبها الى الهلاك .

❖ القلب الميت: وهو لا حياة فيه لا يعرف ربه ولا يعبده وهو عنوان الغفلة والهوى والشهوة ولا يستجيب لداعي الخير والصلاح ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ﴾ المطففين /١٤.

ولكل من هذه الاقسام عوارض ووقاء، وكما ان الابدان تطهر من الانجاس فكذلك القلوب تطهر من مكائد الشيطان فقد جاء في قوله تعالى {يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين}يونس ٥٧، اذاً طهارة القلب وشفاؤه هو القران الكريم فهو شفاء ووقاية لما في الصدور اي (القلوب) من جميع الامراض المعنوية التي سنشير اليها لاحقاً، ووقاية القلوب تحتاج الى قوة وهذه القوة بها حاجه الى حفظ كذلك ومدار هذا الحفظ هو الايمان واوراد الطاعات واجتناب الآثام والمعاصي، فاذا عرف المرض والداء يجب البحث عن الدواء والوقاية من هذه الامراض وهي كما ذكرها ابن قيم الجوزية:

النوع الاول: لا يتألم به صاحبه في الحال كمرض الجهل ومرض الشبهات والشكوك ومرض الشهوات، واطباء هذه الامراض الرسل واتباعهم .

النوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال كالهم والغم والحزن والغيظ، وشفاء هذه الامراض الادوية الايمانية النبوية فهي التي توجب الشفاء .

وفي ذلك ينطبق قول الله عز وجل ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾الانعام/١٢٥

رابعاً: اقسام القلب ومعانيه عند الصوفية

لأهل التصوف في القلب معان: فهو اسم جامع لكل مقامات الباطن لأنه مركز الايمان وهو محل الادراك والاحساس ومدار حديث الصوفية على معاني القلب هو ما روي عن رسول الله ﷺ من احاديث توضح اهمية القلب في صلاح الجسد او فساده وبناءً على ذلك جاء تقسيمهم للقلب على معنيين :

الاول: هو الشكل الغضروفي الموجود في الجانب الايسر من صدر الانسان وهو ما يسمى بالمضغة ينبض بالدم في حالة الحياة ويتوقف عند الموت .

والاخر: وهو المقصود الذي يعكس حقيقة الانسان المخاطبة المكلفة بمعرفة الله تعالى المأمورة والمنهية بالأعمال وهي لطيفة ربانية ونفس روحانية .

والقلب بهذا المعنى هو تلك اللطيفة المدركة من الانسان شأنه شأن النفس بل (القلب هو النفس) ولا فرق بينهما الا في بعض الحالات وهو محل الايمان والمعارف، فالقلب عند الصوفي هو البحر العذب والنفس هي البحر المالح بقول احدهم: ((فكل جوهر ثمين هو من البحر العذب – وهذا يعني القلب – وكل شيء ذميم من البحر المالح _ وهذا يعني النفس_)).

وقال اخر: ((ان ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه الايمان)).

والقلب عن اهل اتصوف هو محل الحب لذات الله وبما ان المحبة هي من مقامات اليقين والمحبة لا تكون الا في القلب فيكون بذلك القلب مقاما للمحبين .، وتتفاوت المحبة بين المحبين لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر .

ومن معاني القلب عند الصوفية ان تجتمع في ثلاثة امور (الايمان والعلم والعقل)، فكلما اتسع القلب بالعلم بالله تعالى وزهد في الدني ازداد ايماناً وعلا، ثم يشهد كل امر به من الجوارح فيكون بذلك يقينه وسعة مشاهدته، وكلما قصر علم القلب بالله تعالى وبمعاني صفاته واحكام ملكوته قل ايمانه، وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة لم تفارقه خواطر الهوى وهي :

- ❖ الجهل
- ❖ الطمع
- ❖ حب الدنيا

قال بعض العارفين: ((لي قلب اذا عصيته عصيت الله))، ومعنى هذا الكلام ان القلب اساس الايمان وكما ورد في الحديث ان الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

وقال بعضهم ((منذ عشرين سنة ماسكن قلبي الى نفسي وما ساكنته طرفة عين)) اي عدم الاهتمام بما تريده النفس ولا يفسح المجال لها لتفرض سيطرتها لان القلب عامر بمحبة الذات الالهية .

خامساً : اقوال الصوفية في انواع القلوب :

قسمت القلوب على اقسام وانواع منها القلب السليم وقالوا فيه شيوخ التصوف ما يأتي :-

قال الشيخ ابو عثمان الحيري في منازل القلب السليم: وهو على اربعة منازل:

اولها: سلامة القلب من الشرك

الثاني: سلامة القلب من الاهواء المضلة

الثالث: سلامة القلب من الرياء والعجب

الرابع: سلامة القلب من ذكر كل شيء سوى الله

وفي علامات القلب السليم يقول الشيخ ابو القاسم الحكيم: للقلب السليم علامات ثلاثة :

اولها: ان لا يؤذي احدا

الثانية: ان لا يتأذى من احد

الثالثة: اذا صنع مع احد معروفاً لم يتوقع منه المكافأة

وقال الشيخ ابو سليمان الداراني: القلب السليم هو القلب الذي ليس فيه غير الله

وقال ابو بكر الوراق الترمذي: القلب السليم هو الراضي بمجاري المقدور عليه في المحبوب والمكروه

وقال ذو النون المصري: القلب السليم هو الذي لا يكون فيه الا الخير

وقال التستري: القلب السليم هو الذي سلم من البدع

وقال الجنيد البغدادي: القلب السليم هو الذي لا يكون فيه الاحب الله

وقال الشيخ ابو بكر الواسطي: القلب السليم هو من سلم من البدع

ويقول ابو بكر الشبلي: القلب السليم سليماً من جميع ما في الكون

ويقول السراج الطوسي: القلب السليم هو الذي ليس فيه غير الله

وابو عبد الرحمن السلمي يقول: القلب السليم الذي لا يتبع الهوى والشهوات ويكون بريئاً من حب الدنيا، وصافياً من المنى _ ويقول ايضاً القلب السليم الذي ليس فيه على مسلم غل او حقد او حسد.

اما الامام عبد الكريم القشيري يقول: القلب السليم هو كالاتي:

خالص من الغل والحقد والحسد والغش – وهو الذي لا أفة فيه – سليم من محبة الاغيار لديغ من محبة الله – سليم من حظوظ نفسه وارادته مستسلم لله في قضائه واختياره

وقال السيد احمد الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية: القلب جوهرة مظلمة مغمورة بتراب الغفلة، ونورها الذكر ،وصندوقها الصبر، والذكر حفظ القلب من الوسواس وترك الميل الى الميل الى الناس والتخلي عن كل قياس ٠

وقال احمد بن عجيبة القلب السليم هو الذي لا تعلق له بشيء دون الله

ويقول اسماعيل بن حقي البروسوي: القلب السليم قد سلم من انحراف المزاج الاصلي الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، فأنه خلق مرأة قابلة لتجلي صفات جمال الله وجلاله، كما كان لآدم عليه السلام لأول فطرته .

هذه اقوال جمعناها من خلال استقراء بعض كتب التصوف في القلب السليم فوجدنا ان القلب له دلالات كثيرة عند هؤلاء الاولياء ولكن مدارها هو تخلية القلب من الشرك والاهواء والابتعاد عن كل ما يكدر بحر المحبة لله تعالى لان القلب هو سكن المحبة وكما ذكرنا سابقاً انه مقامً للمحبين والمعول عليه في الايمان والتصديق، كما انه يكشف حقيقة الانسان المحب من غيره من خلال التعامل مع الاخرين لأن من يحب الله ويطيعه يتصف بالمرونة والشفافية المطلقة مع الله تعالى وعباده الصالحين وغيرهم . فدلالة القلب السليم تتضح بمحبة الله تعالى، والامام القشيري من الذين جعلوا للقلب مكانة في اجتياز المحبة الالهية فيقول :

القلب نحوك نازع والدهر فيك منازع

جرت القضية بالنوى ما للقضية وازع

وكأنه يتحدى ما في قلبه الزمان والمكان وان القرار الذي اتخذه القلب قرار حازم لا رجوع فيه ولا منازعة، وهكذا كان الصوفية يتحدثون عن القلب ومكانته .

اما النوع الثاني من القلوب التي تحدث عنها شيوخ التصوف فهي القلوب المريضة والقلوب القاسية وهي كالاتي :

من الامراض التي تصيب القلب (الصدأ) وتعني الطبقة التي تكسو الحديد عند تعرضه للرطوبة، ولكن ما لرابط بين القلب والحديد ؟ سنجيب عن هذا السؤال بعد سرد اقوال الصوفية في هذا:

يقول الشيخ ابو سليمان الداراني: لكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب شبع البطن

ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني: الصدأ هو حجاب رقيق يتجلى بالتصفية ويزول بنور التجلي لبقاء الايمان معه .

ويقول الصدأ هو ما ارتكب على وجه الارض من ظلمة هيآت النفس وصور الاكوان، فيحول بينه وبين تجلي الحقائق فيه وبين شهوده الحق جل جلاله لكن من غي ان يكون ذلك الحصول على وجه الاستيعاب لجميع وجه القلب .

الصدأ لفظ اشار اليه سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام بقوله {ان القلوب تصدأ وجلاؤها لااله الا الله} هذا يعني ان القلب معرض للأهواء والاغواء اللذين يسببان الامراض القلبية المعنوية وهذه الاهواء والاغواء بمثابة الرطوبة العالية التي تصيب الحديد فيصدأ وهذا هو الجواب للسؤال الذي طرح في بداية الحديث .

وجلاء القلوب من الصدأ كما ذكر اهل التصوف ثلاثة: ذكر الله، والاستغفار، الحزن

وقال ابو عبيدة: الحزن جلاء القلوب به لبستم مواضع الفكر، ثم بكى

اما القلوب القاسية فهي اشد من المريضة وذلك ان القلب المريض يمكن شفاؤه لكن القلب القاسي كيف يلين اذا كان صاحبه مصراً على ارتكاب المعاصي والآثام ولا يبالي بالنصح والارشاد وهذا خلق الكافرين والمنافقين بقوله تعالى ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾ البقرة/ ٧٤ وقوله تعالى ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ** ﴾ المائدة/ ١٣ .

فالقساوة اشد من الصدأ الدي يصيب الحديد لأنها لا تخشع ولا تنجلي لقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام **{لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فأن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسي}** سنن الترمذي /رقم الحديث ٢٤١١.

ولا يمكن لذوي القلوب القاسية ان ينال من خيري الدنيا والاخرة لانه ابتعد عن ذكر الله حتى وان كان مسلماً فهناك من المسلمين من قلوبهم قاسية اشد من الحجارة فقد جاء رجل الى رسول الله يشكو قسوة القلب فقال له النبي الكريم ﷺ **{اطلع في القبور واعتبر بيوم النشور}** المجروحين٢/٣٣٣.

وقال السيد احمد الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية ناصحاً: اياك والتقرب الى اهل الدنيا فأن التقرب منهم يقسي القلب.

وهذا يدل دلالة واضحة على ان قسوة القلب هي ليست فطرية وانما تكتسب ويمكن التوبة منها من خلال الاتعاظ والنصح والاعتبار بما جرى لمن كان قلبه قاسياً ومات على ذلك، لذلك كان لأهل التصوف ذوي القلوب الرقيقة المتعلقة بحب الله تعالى المتمسكين بالطاعات فيقول ابو عبد الرحمن السلمي: القلب القاسي هو الذي تزجره عن المخالفات مشاهدة مراقبة الحق عليه وقال ايضا موضحاً علامة القلب القاسي: ان لا ينال صاحبه ما ارتكب من المعاصي، وكل قلب اذا قسى لا يبالي اذا عصى .

ويقول نجم الدين الكبري: مراتب القلوب القاسية متفاوتة، فبعضها بمرتبة الحجارة التي يتفجر منها الانهار وهو قلب يظهر عليه ما يخرق العادة كما يكون لبعض الكهنة والرهبان ٠

وبعضها بمرتبة ﴿ **وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ** ﴾البقرة/٧٤وهذا قلب الفلاسفة والمناطقة

والبعض الاخير بمرتبة ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ** ﴾ البقرة/٧٤ وهو قلب في بعض الصفاء فيكون بقدر صفائه خوف وخشية مما يفعلون وهذا عن اهل الملل والاديان .

فهذا الكلام يدل دلالة واضحة على ان المراتب مشتركة بين قلوب المسلمين وغيرهم والفرق بينهم ان احوال هذه المراتب للمسلمين مؤيدة بنور الايمان ٠

ومن خلال ذلك تبين ان لنا القلوب القاسية هي اكثر شراً من القلوب المريضة (السقيمة) التي يمكن شفاؤها، لذا حري بنا ان نتبع كلام الله تعالى وما جاء به النبي الكريم ﷺ للنجاة من هذا القلب وتذكيراً بقوله تعالى ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ**

ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ الاسراء ٤٥-٤٦

سادساً : تحليل القلب ودلالته عند الصوفية

لقد حلل الصوفية جهاز القلب الى مقامات اربعة متصاعدة هي مقام الصدر ومقام القلب ومقام الفؤاد ومقام اللب وربطوا كل مقام بحالة من حالات النفس الاربعة المذكورة في القران الكريم وهي النفس الامارة والنفس اللوامة والنفس الملهمة والنفس المطمئنة، وربطوا كل واحد من هذه المقامات بأحد انوار الله، فالصدر مرتبط بنور الاسلام والقلب مرتبط بنور الايمان والفؤاد مرتبط بنور المعرفة واللب مرتبط بنور التوحيد، هذا الارتباط الروحي يدل دلالة واضحة ان كل جزء في القلب هو مرتبط بعضه ببعض ولا يخرج عن اطار ما جاء به النبي الكريم عليه الصلاة والسلام – واكده في اكثر من قول وفعل في ان على المؤمن اذا اراد ان يبلغ درجة الموحدين ان يجتاز هذه المقامات حتى يكون صافياً كالماء العذب او اشد من ذلك .

للقلب عند الصوفي قفل ومفتاح، عندما سئل التستري عن قفل القلب ومفتاحه قال: المعرفة القديمة قفل القلب وهي مثبتة، ومفتاحه الاقرار بالربوبية

وله قناع او حجاب يسعى المؤمن لكشفه بالمجاهدة والتقوى، وبهذا نستطيع القول ان الصوفية جعلوا للقلب عدة نطاقات او خصائص من خلال الاقوال التي سردناه مسبقاً ومن هذه الخصائص او النطاقات منها ما يعبر عن العاطفة او الوجدان فالقلب حينئذ معدن التقوى والسكينة والوجل والاخبات واللين والطمأنينة وحب الايمان وزينته، ومنها ما يعبر عن النطاق الاخلاقي كالخشوع والطهارة وهذا يشير الى الوصول المعرفي اي الامتحان للقلب، وهناك الكثير من آيات الذكر الحكيم تؤكد هذه الآراء منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾وقد انتبه الصوفية فرأوا ان في ابن آدم جسداً وروحاً او ظاهراً وباطناً او

شهوداً وغيباً وعرفوا ان اهم ثمرة لباطن الانسان هي الادراك او العلم والمعرفة فأولوه جل اهتمامهم وعنايتهم كما ان القران اكد على ذلك، ومحل الادراك والمعرفة كما بينا من خلال ما تقدم هو القلب الذي يمتلك كل الطاقات الجسدية والروحية فانه كما يراه ابو طالب المكي ((ان للقلب سمعاً وبصراً ولساناً وشماً، وان من الخواطر ما يقع في سمع القلب فيكون فهماً ،منها ما يقع في لسان القلب فيكون كلاماً وهو الذوق، ومنها ما يقع في شم القلب فيكون علماً وهو العقل المكتسب بتلقيح العقل الغريزي)).

وختاماً نصل الى حقيقة ان القلب قلب وهو موضع وقوف العبد بين يدي مولاه فلا يتحير في شيء انما هو ساكن الى الله وهذا يمثل المستوى العالي من مستوياته في كل ما ذكرناه من اقوال الصوفية وتحليلاتهم .

الخاتمة

هذه فقرات اخترناها بتوفيق من الله تعالى لنبين بعض اقوال السالكين لطريق الحق في محل الادراك المعرفي الا وهو القلب ومعانيه واقسامه، فكان الحديث عن معنى القلب في اللغة والاصطلاح والفرق بينه وبين الفؤاد تبين ما يأتي :

ان استعمال الصوفية للقلب اسم جامع لكل مقامات الباطن لأنه مركز الايمان والتوحيد وان القلب عند الصوفية تنقسم على تقسيمات ونطاقات مرتبطة بعضها مع بعض واستندوا بذلك على القران الكريم ، وبينوا ان امراض القلوب كثيرة والقلوب القاسية كثيرة ولكن جلاء القلوب التي اصابها الصدأ بأنواعه هو الايمان والذكر والخضوع والذل لله تعالى وكثرة الطاعات والابتعاد عن الشبهات والاعراض عن اهل الدنيا والملذات.

وفي نهاية البحث تبين ان للقلب منزلة عظيمة اذ هو محل الادراك وانعكاس المعارف وهو يمثل الربط بين العالم الغيبي ومختلف انماط السلوك الحياتي.

وختاماً اسأ ل الله تعالى مالك القلوب والالباب ان يثبت قلوبنا على الايمان ويزيدنا تقوى حتى نصل الى ما وصل اليه اصحاب هذا الطريق وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه من الاولياء والصالحين الى يوم الدين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار ابن حزم –بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- تهذيب اللغة: ابو منصور الازهري (ت ٣٧٠هـ) تح: عبد السلام هارون – الدار المصرية للكتب.
- سنن الترمذي: ابو عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧ هـ) تح احمد محمد شاكر
- قوت القلوب في معاملة المحبوب: ابو طالب المكي (ت٣٨٦ هـ) تح: محمود ابراهيم الرضواني ، دار التراث – القاهرة ط٢ ٢٠١٠
- عبد الكريم القشيري اديباً: أ٠د٠ ايمان كمال مصطفى – مركز البحوث والدراسات/بغداد ط١ ، ٢٠٠٩.
- لسان العرب: ابو الفضل بن منظور (ت ٦٣٠ هـ) دار صادر بيروت ط٣ ٢٠٠٤
- المجروحين: ابن حبان السجستاني (ت ٣٥٤ هـ) تح محمود ابراهيم زايد
- مكاشفة القلوب : ابو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) تح :بهيج غزاوي / دار احياء العلوم بيروت، ط٢، ١٩٨٥
- نحو القلوب: الامام عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥ هـ) تح د٠احمد علم الدين الجندي